ألف حكاية وحكاية (٥)

كلمة سحرية

وحكايات أخرى
يرويها
يعقوب الشارونى



رسوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
- الفجالة - القاهرة

ابن مـن ؟!!

ذاتَ يومٍ، ذهبَ رجلانِ إلى حكيمِ بلدتِهما وقالا له:

"جئنا إليكَ نعرضُ مشكلتَنا، التى لا نستطيعُ حلَّها. فكلٌّ منَّا يملكُ ناقةً، توشكُ على الولادةِ. وذاتَ صباحٍ، وجدنا الناقتَيْنِ قد وضعتا صغيرَيْنِ، وكانَ أحدُهما حيًّا والآخرُ ميتًا. ونحنُ لا نعرفُ لمَنْ هذا الصغيرُ الحيُّ؟ وأيةَ ناقةٍ منهما ولدَتْهُ ؟! فالناقتانِ ترْضِعانِهِ وتلاطفانِهِ، وهو يلاعبُهما ويرضعُ منهما بنفسِ مقدارِ حبِّهما له.



قالَ الحكيمُ:

"خذا الناقَتَيْنِ إلى شاطئِ النهرِ، وَلْتضَعا الصغيرَ على الشاطئِ الآخرِ، وسوفَ تجدانِ الحلَّ".

ونفَّذَ الرجلانِ ما قالَهُ الحكيمُ، فخافَ الصغيرُ، وأخذَ يهرولُ ويصرخُ.

وقلقَتِ الناقتانِ أيضًا، وصاحتا، وأخذَتْ إحداهما تجرى بمحاذاةِ الشاطئِ، وقفزَتِ الأخرى إلى الماءِ فى اندفاعٍ وبغيرِ تردُّدٍ، وسبحَتْ إلى الصغيرِ حتى وصلَتْ إلَيْهِ.

عندئذٍ عرفَ الرجلانِ مَنْ هى أمُّ ذلكَ الصغيرِ.



كلمة سِحْرِيَّة

اعتادَتْ طفلةُ الإهمالَ، ففى يـومٍ واحـدٍ تسلَّقَتْ شجرةً فمزَّقَتْ ثوبَها، وكسرت طبقًا جديدًا وهـى تُجَفِّفُ الأطباقَ، وسكبَتْ زجاجةَ الحبر على كراسةِ الواجباتِ المدرسية. وبعد كلِّ حادث تسرع إلى أمِّها وتقول: "إنَّنى آسفةٌ" وكأنَّما تعتقدُ أن هذه الجملةَ فيها العفوُ والغفرانُ.

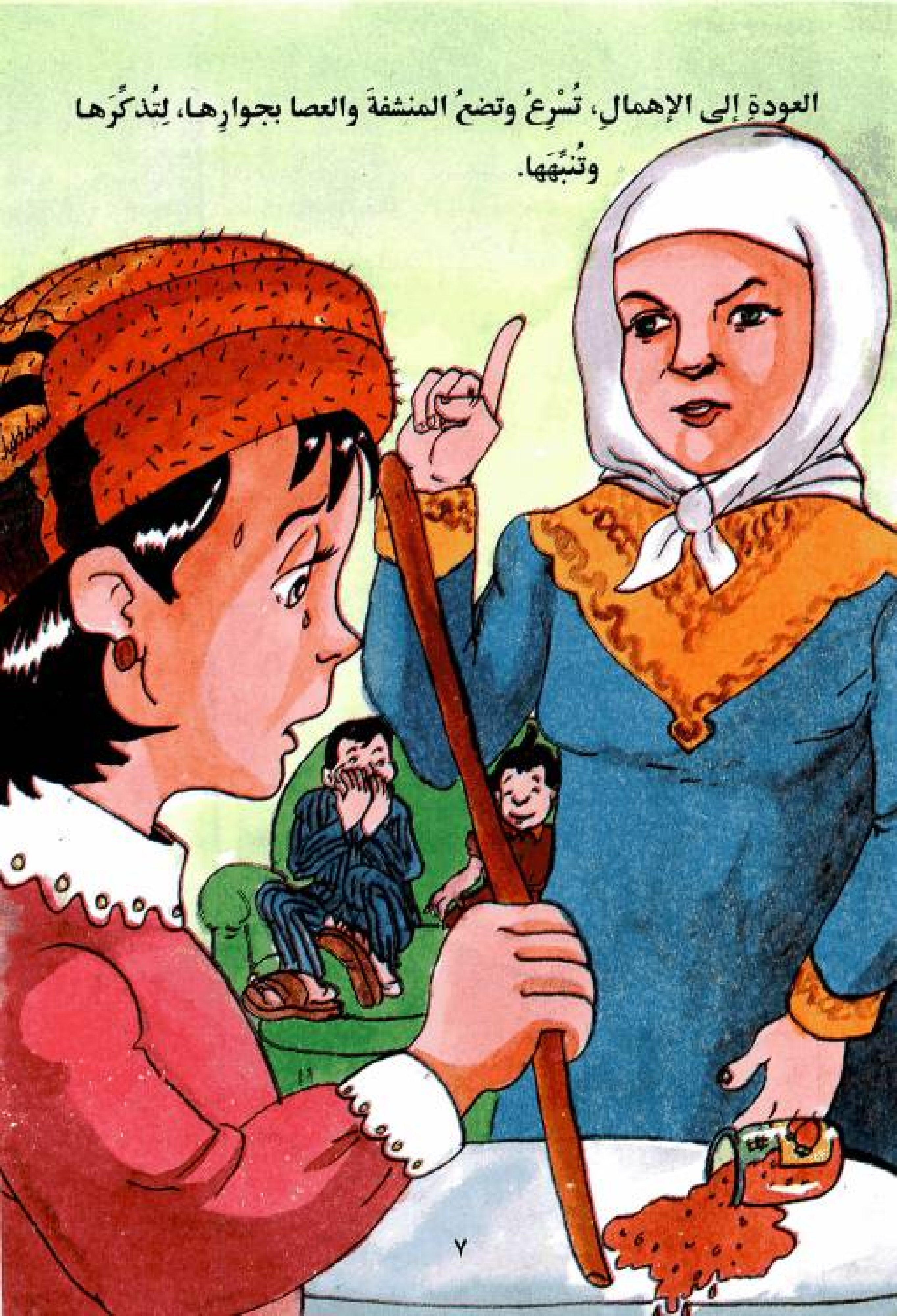
وفى اليومِ التالى، أسقطَتِ المُربَّى على غطاءِ المائدةِ الأبيضِ، ثم قالت لأمها: "إنِّـى آسفةٌ." عندئذٍ قامت والدتُها، ووضعَتْ حولَ رأسِ الابنةِ منشفةً بيضاءَ كأنها عمامةٌ، وناولتها عصاً خلعَتْها من حاملِ المناشفِ ووضعَتْها فى يدِها، وقالت لها: "أنتِ الآنَ ساحرةٌ. وهذه عصاكِ السحريةُ.. ردِّدى الكلمةَ السحريةَ: إنى آسفةٌ، عشرَ مراتٍ، على بقعةِ المُربَّى هذِهِ."

أطاعَتِ الطفلةُ أمرَ أمِّهـا، وظـلَّ بقيـةُ أفـرادِ الأسـرةِ يكتمـون ضحكَهم. فلما انتهتْ قالَتِ الأمُّ: "هل اختفَتِ البقعـةُ؟" قالت الابنـةُ وقد خنقَها البكاءُ: "لا .. إنَّها لن تزولَ حتَّى لو قلتُ إنى آسفةٌ مليونَ مرَّةٍ."

قالَتِ الأمُّ: "إذن فهى ليسَتْ كلمةً سحريةً. إن كلمةَ: إنى آسفةٌ، لا تمحو بقعةً كان يمكنُ تجنُّبها بشىءٍ قليلٍ من الحذر."

ومنذ ذلك اليومِ، كلما لاحظَتِ الأمُّ أن ابنتَهـا توشـكُ علـى

العودةِ إلى الإهمالِ، تُسْرِعُ وتضعُ المنشفةَ والعصا بجوارِها، لِتُذكِّرَها وتُنبِّهَها.



رحلةٌ مع حارِس

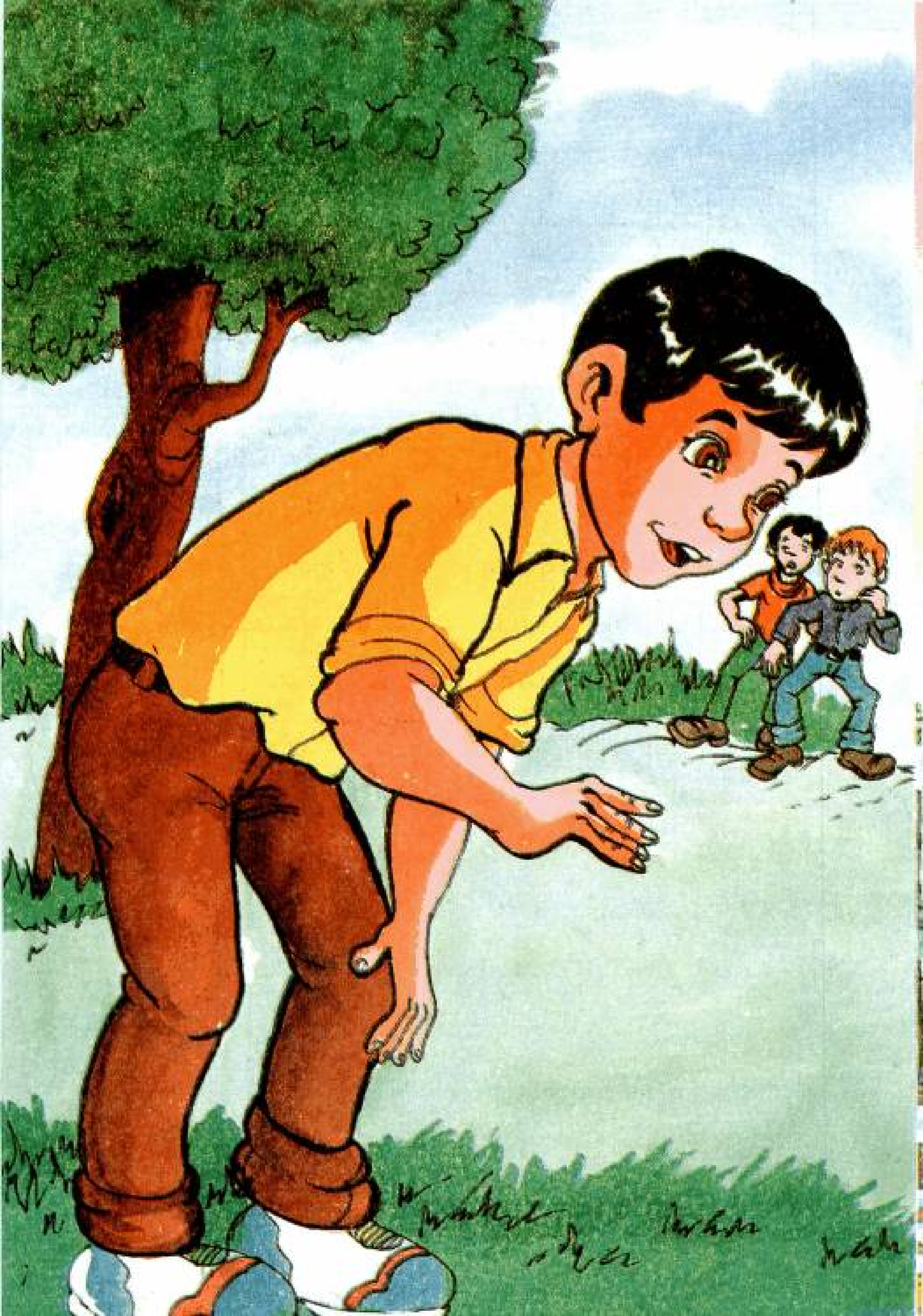
خرجْتُ مع بعضِ رفاقي ذاتَ يومٍ في رحلةٍ إلى القناطرِ الخيريَّةِ، فقضَيْنا هناك يومًا كاملاً نلعبُ ونمرحُ. فلما تهيَّأنا للعودةِ، أخذْنا نجمعُ الحقائبَ والسِّلالَ وأدوات الأكلِ الَّتي كانَتْ معَنا.

وكانَ يصحبُني في هذه الرِّحلةِ كلبي "حارس"، ومن عادتِهِ أن يُطيعَني إذا أمرْتُه. ولكنَّه في هذه المرَّةِ لَزِمَ مكانَهُ فلم يتبَعْني ولم يستمعْ إلى ندائي، فأخذْتُ أعيدُ النِّداءَ عليهِ، وأصفِّرُ له وأشيرُ بيدي، وهو واقفٌ في مكانِهِ يهزُّ ذيلَهُ، ولا يريدُ أن يتحرَّكَ.

أغضبَني هذا منه، فذهبْتُ إليه لأؤدِّبَهُ على هذا العصيانِ. ولما اقتربْتُ منه، زادَ اهتزازُ ذيلِهِ، وأخذَ يُهَمْهِمُ ويدورُ في مكانِهِ.

أدهشَتْني حركاتُهُ هذهِ، ونظرْتُ إلى حيثُ كانَ واقفًا، ففهمْتُ السِّرَّ! لقد رأيْتُ ساعتي الثَّمينةَ مُلقاةً على العشبِ .. كانَتْ قد سقطَتْ من يدي فلم أشعرْ بها، فظلَّ الكلبُ واقفًا بجانبِها يحرسُها، ولا يريدُ أن يتركَ مكانَهُ حتَّى حضرْتُ فأخذْتُها!





زوجةُ المهندس

لى صديقٌ من المهندسينَ، الذين تقومُ على أكتافِهم صناعةُ استخراجِ البترولِ. عندما ذهبَ إلى العملِ فى منطقةٍ صحراويةٍ بعيدةٍ، صحبَتْهُ الزوجةُ إلى مقرِّهِ الجديدِ، لكنَّها سرعانَ ما كَرِهَتِ المكانَ.

كان زوجُها يخرجُ إلى منطقةِ العملِ، ويتركُها وحيدةً، يكادُ يقتلُها الإحساسُ بالضيقِ والضَّجَرِ، فقد كانَتْ حرارةُ الجوِّ فوقَ ما تحتملُ، ولم تكنْ تجدُ مَنْ تُحادِثُهُ أو تتسامرُ معَهُ، وكان الطعامُ الذى تأكلُه والهواءُ الذى تستنشقُه محمَّلَيْنِ بذراتِ الرمالِ. وبلغَ بها الضيقُ مبلغًا كبيرًا، حتى إنها كتبَتْ لوالدِها خطابًا قالَتْ فيه: "لقد قرَّرْتُ أن أتركَ زوجى، وأعودَ إليكم."

وتقولُ الزوجةُ: ردَّ أبى على خطابى بسطرَيْنِ فقط، سأظلُّ أذكرُهما طوالَ حياتى، لأنهما غيَّرا مجرى حياتى تمامًا. وهذانِ السطرانِ هما: "من خلفِ قضبانِ زنزانةِ سجنٍ، نظر إلى الخارجِ اثنانِ من المساجينِ، فتوجَّهَ أحدُهما ببصرِه إلى وحلِ الطريقِ، أما الآخرُ فتطلَّعَ إلى نجومِ السماءِ."



وتقولُ الزوجةُ: "لقد خجلْتُ من نفسى، وقررتُ أن أنظرَ إلى نجومِ السماءِ. وسرعانَ ما تعرَّفتُ على زوجاتِ العُمَّالِ، وعرفتُ عن حياتِهم ومشكلاتِهم الشيءَ الكثيرَ، وعلَّمْتُهم أشياءَ كثيرةً مفيدةً.

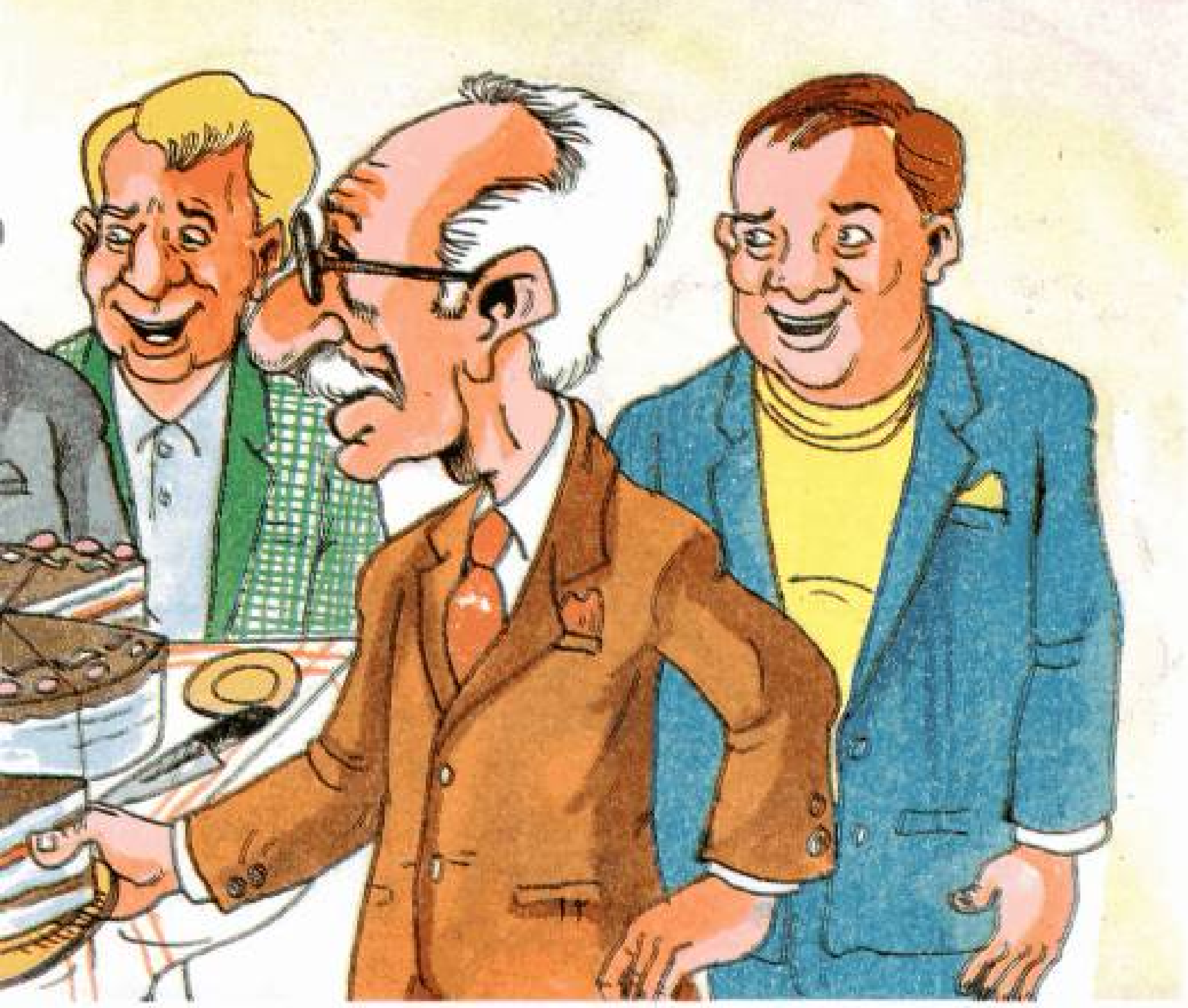
ورحت أُدْخِلُ البهجةَ على نفسي بتأمُّلِ مغيبِ الشمسِ في الصحراءِ، والسحبِ التي تبدو أحيانًا في السماءِ. كما أخذْتُ أشغلُ وقتَ فراغي بالتقاطِ الأصدافِ من الرمالِ التي كانَتْ يومًا ما قاعًا للمحيطِ. إنَّ الصحراءَ لم تتغيَّرْ، لكنني أنا التي حاولْتُ تغييرَ نفسِي."



القطعة العاشرة

قضى الدكتورُ " ألبرت شفايتزر" سنواتٍ طويلةً من حياتِهِ فى أواسطِ إفريقيا، يُعالِجُ أهالِيَ المناطقِ البعيدةِ عن العمران. وقد حصلَ على جائزةِ نوبل للسلامِ سنة ١٩٥٢.

وذاتَ يومٍ، كانَ يزورُ القريةَ التى وُلِدَ فيها بأوربا، فاصطحبَهُ بعضُ الأصدقاءِ إلى أحدِ المطاعمِ لتناوُلِ الطعامِ. وكانَتْ فى انتظارِهِ كعكةٌ كبيرةٌ، احتفالاً بالمناسبةِ.



وعندما جاءَ وقتُ تقطيعِ الكعكةِ، قدَّموا السكينَ للدكتورِ شفايتزر، فوقفَ، ووضعَ سلاحَها على الكعكةِ، ثم قامَ بإحصاءِ الموجودينَ حولَ المائدةِ، فتبيَّنَ أنهم تسعةٌ، لكنَّ شفايتزر قطعَ الكعكةَ إلى عشرةِ أجزاءٍ، ومدَّ يدَهُ بالقطعةِ الزائدةِ إلى عاملةِ المطعمِ قائلاً:

"وهذهِ قطعةٌ للسيدةِ التي تكرَّمَتْ بخدمتِنا."



الذئب الغبى

يُحكَى أن ذئبًا كانَ يعيشُ وحيدًا فى جحرهِ. ولم يحدثْ مرةً واحدةً فى حياتِهِ أنْ نظَّفَ بيتَهُ أو أصلحَ شقوقَهُ. كانَ البيتُ قَذِرًا مُتَهالِكًا يوشكُ أن يسقطَ.

ذاتَ يوم، كانَ فيلٌ يمرُّ بجوارِ بيتِ الذئبِ، فاصطدمَ بِهِ اصطدامًا بسيطًا، لكنها كانَتْ كافيةً ليسقطَ سقفُ البيتِ. قالَ الفيلُ للذئبِ:

"أنا آسفُ جدًا .. أقدِّمُ لكَ اعتذارى. لم أقصدْ أن أحطِّمَ سقفَ بيتِكَ .. سأقومُ بإصلاحِهِ فى الحالِ."

وكانَ الفيلُ نشيطًا ماهرًا، فتناوَلَ مطرقةً وبعضَ المساميرِ. وسرعانَ ما أصلحَ السقفَ، فعادَ أفضلَ ممَّا كانَ.

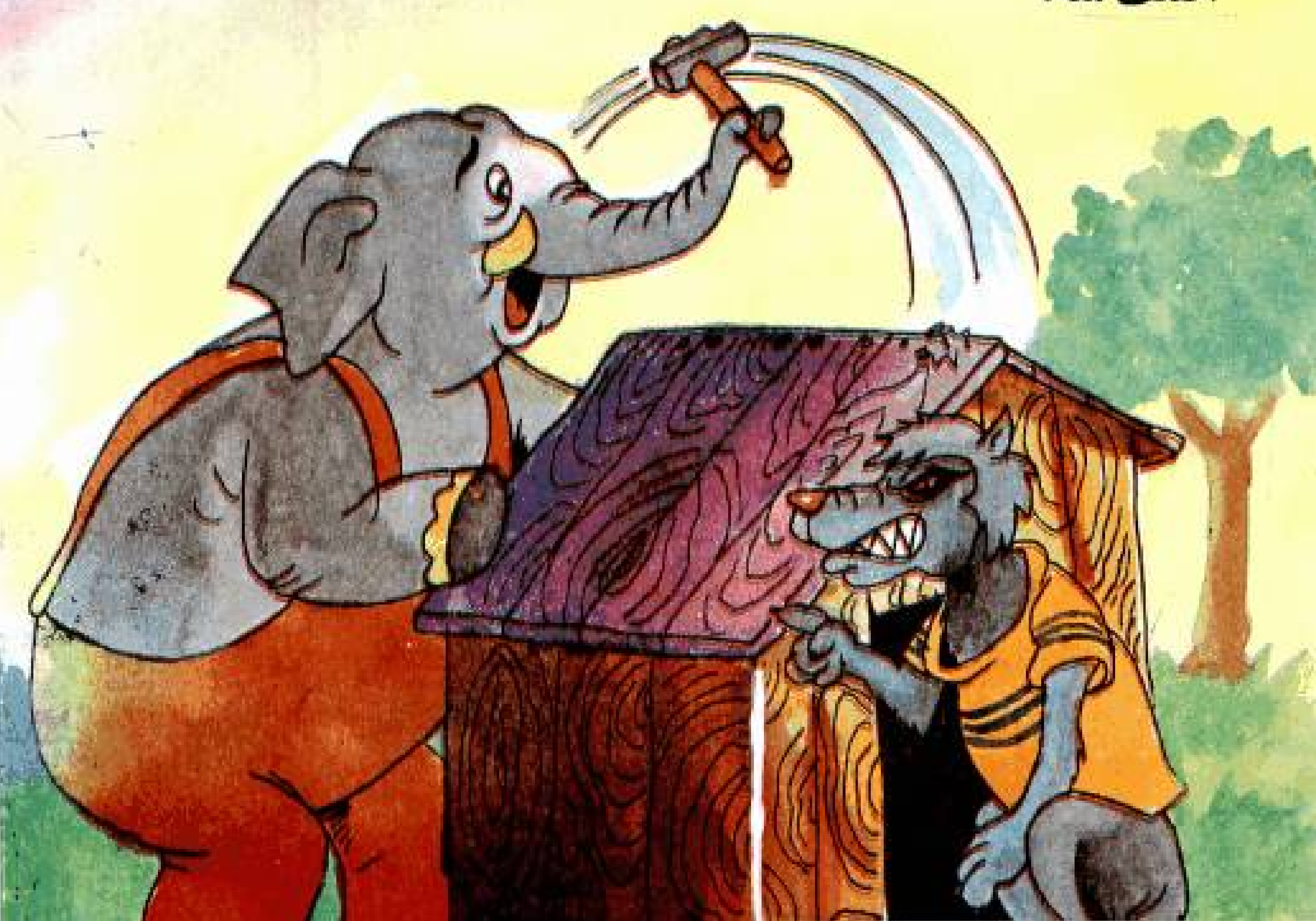
قالَ الذئبُ لنفسِهِ: "يبدو أن الفيلَ يخافُ منِّى .. لقد بدأ فقدَّمَ لى اعتذارَهُ، ثم أسرعَ بإصلاحِ السقفِ. لماذا لا أطالِبُهُ بإقامةِ بيتٍ جديدٍ لى؟! مادامَ يخافُ منِّى، فسيُنفِّذُ ما أطلبُهُ منهُ."

لذلكَ صاحَ الذئبُ بالفيلِ قائلاً: "ما هذا الذى فعلْتَ ؟! هل تتصوَّرُ أنه يمكنُ أن تنتهِيَ من المسألةِ بهذهِ البساطةِ ؟! لقد أطحْتَ بسقفِ بيتى، ثم أعدْتَ تركيبَهُ على أسوأ صورةٍ، والآنَ تحاولُ الفرارَ؟ لابدَّ أن تبنِيَ لى بيتًا جديدًا ! لا تقفْ عندك هكذا وإلاَّ لقَنْتُكَ درسًا لن تنساهُ."

ولم يقُلِ الفيلُ شيئًا، بل تقدَّمَ فى هدوءٍ، ومدَّ خرطومَهُ وأمسكَ الذئبَ من وسطِهِ، ورفعَهُ عاليًا، ثم ألقى به فى حفرةٍ ملآنةٍ بالماءِ الراكدِ .. ثم جلسَ بجسمِهِ الضخمِ فوقَ بيتِ الذئبِ. وبعدئذٍ قالَ وهو يسيرُ مُبتعدًا: "ها هو بيتُكَ الجديدُ الذى تُريدُه منِّى."

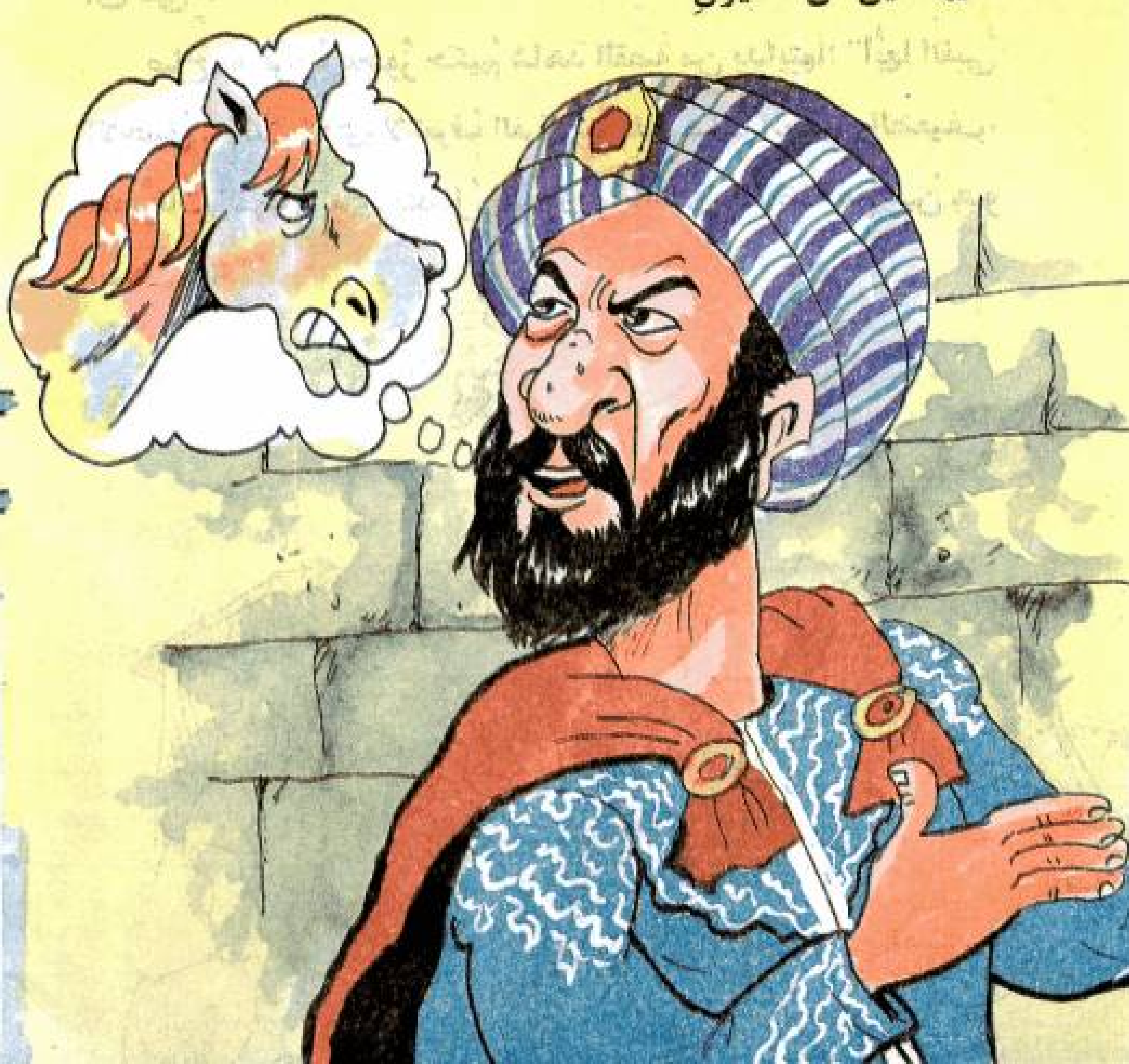
قال الذئبُ وقد أصابَتْهُ الدهشةُ: "لستُ أفهمُ شيئًا .. لقد بدأ فأظهرَ لى شديدَ أسفِهِ، وفى النهايةِ يفعلُ هذا ! الحقيقةُ أنا لا أفهمُ أىَّ شىءٍ."

صاحَ به غرابٌ عجوزٌ حكيمٌ شاهدَ القصةَ من بدايتِها: "أيُّها الغبىُّ الأحمقُ .. أنتَ الذى لا تعرفُ الفرقَ بين تصرُّفاتِ الجبانِ الضعيفِ، وتصرُّفاتِ القوىِّ الذى يتعاملُ بالذوقِ والأخلاقِ الفاضلةِ مع مَنْ هو أضعفُ منه."



الألوان والأيام

غضبَ أحدُ الملوكِ على وزيرٍ فى مملكتِهِ، وأمرَ بسجنِهِ .. وأعلنَ أنه لن يصفحَ عنه حتى يُحْضِرَ له خيلاً لونُهُ ليس بالرماديِّ ولا بالأسودِ، ولا بالأحمرِ ولا بالأبيضِ، ولا بالأسمرِ، وليس أشهبَ، ولا أرقطَ .. وباختصارٍ، عددَ الملكُ كلَّ الألوانِ التى يمكنُ أن يكونَ عليها خيلٌ من الخيولِ.



وسمعَ الوزيرُ بذلكَ، فوعدَ أن يُحْضِرَ الخيلَ المطلوبَ، إذا أطلقَ الملكُ سراحَهُ.

ثم أرسلَ الوزيرُ إلى الملكِ يطلبُ أن يُرْسِلَ مَنْ يتسلَّمُ الخيلَ الذى طلبَهُ، على ألا يبعثَ برسولِهِ فى يومِ السبتِ أو الأحدِ أو الاثنينِ أو الثلاثاءِ أو الأربعاءِ أو الخميسِ أو الجمعةِ، ولكن فى أىِّ يومٍ آخرَ يختارُهُ جلالتُهُ من أيامِ الأسبوعِ!!



مَنْ منهما أهمُّ؟

حكى جحا قالَ: ذاتَ يومٍ، جاءَني شيخُ بلدتِنا يسألُني:

"هَلِ السلطانُ أهمُّ أم الزارِعُ؟"

قلْتُ:

"طبعًا الزارعُ أهمُّ، لأنه إذا لم ينتجِ الفلاَّحُ القمحَ، عانَى السلطانُ من الجوعِ!!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها من الأدب الشعبي، والعربي القديم، والعالمي.